

الـ «ق. ق. ج» نص الصدمة وصناعة الدهشة بكلمات قليلة

كتاب عرب يكشفون ملامح القصة القصيرة جدا أكثر الآداب إثارة للجدل



الكتابة أمام تحدي التكثيف (لوحة للفنان وائل المربع)

بنجاح فإن هناك أمرا آخر يخشى منه، وهو أن تجاوز التفاصيل قد لا يحدث ذات التأثير كما لو شرحتها كلها، وأيضا قد يتسبب في عدم إقناع القارئ وبالتالي خسارة تعاطفه".

وتشير في ذات السياق إلى أن القصة القصيرة جدا فائقة بلوغها المجازية، وبعتمادها المفارقات واللعب اللغوي، وهي تشعر بلذة التعبير الموجز، لكنها تمثل تحديا للكاتب الذي يبذل جهده، كي لا يقول أكثر من اللازم.

نص يشبه البالون

الكاتبة العمانية بشائر حبراس السليمي وهي تحتم هذا الطواف الأدبي، تقولها صراحة إنه "لا يمكن أن تطلق على أي نوع من الكتابة القصيرة قصة قصيرة جدا". لبشائر مجموعة قصص قصيرة جدا "شبابيك زبانية" صادرة عن مجلة نزوى في يناير 2020، وضمت المجموعة 42 قصة.

عندما نكتب نميل إلى التطويل مدفوعين بتدققنا وهذا يجعل كتابة رواية أسهل من كتابة قصة قصيرة جدا

وهنا تشير في تفسيرها لفن القصة القصيرة جدا، قائلة "القصة القصيرة جدا بالنسبة إلى البالون لا يحتمل أن تضع فيه من الهواء أكثر مما يحتمل وإلا ضاع منك؛ لأنه يتطلب إيجازا وتكثيفا في الفكرة والحدث".

وتضيف "لا يمكن أن تطلق على أي نوع من الكتابة قصة قصيرة جدا" مجرد أن عدد كلماتها قليل، فالسائلة لا تكمن في القصص وحسب، وأجزء أن القاسم المشترك بين القصة القصيرة جدا ونصوص التوقيعات الذي أشرت إليه هو القصر وحسب، إضافة إلى الإيجاز والتكثيف، ولا أظن أن هذا أيضا يجعلها شيئا واحدا ولا يجعل من القصة القصيرة جدا وريثة لنصوص التوقيعات".

وحول استسهال كتابة هذا الفن السريدي، تقول السليمي "أعتقد أنك إذا كنت قادرا على إنهاء قصتك القصيرة جدا بقليل مدته بعد أن تكون قد كتفت وأوجزت بشكل مترابط ستستطيع أن تقع قارئك، سيدرك كيف أنك أدهشته بقليل من الكلمات. لعل الاستسهال الذي اعتبره الدبوس الذي يهدد البالون الذي نفخ ببراعة- هو من صنع النظرة السائدة بأن هذا الفن يكتبه 'مدعو المهوبة' كما قال أحدهم في مقال لست أنكره الآن. وعلى الرغم من أن القصة القصيرة جدا فن صعب فإن عدم تقبل القراء له أو شكهم به يزيد صعوبة".

رسم العناوين التي تعد بوابة الدخول والخروج للنص".

وهنا يستغرب الكاتب ممن يستسهل إطلاق مصطلح القصة القصيرة جدا على ما يعتقده من كتابات قد لا تتعدى نكتة أو تغريدة أو منشور منغلقة في المباشرة والسطحية. مشددا على أن فن القصة القصيرة جدا باختصار هو فن الممكن، فن التأويل، فن الإنفتاح على عوالم متعددة من الوعي، وتجدد السياقات، ويعتقد بان فن القصة القصيرة جدا، هو أيضا وريث ثقافة اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن بقية الثقافات اللغوية العالمية.

تري الكاتبة والأديبة البحرينية فتحية ناصر أنه يمكن اعتبار فن القصة القصيرة جدا الوريث (الغني) لنصوص التوقيعات في الأدب العربي؛ ذلك أنها تعتمد كثيرا من الخصائص التي احتوت عليها التوقيعات، من الإيجاز ودقة الصياغة ومثانة التركيب، كما تتسم، مثلها، بجمال الألفاظ وقوة المعنى والتأثير، ولكن من ناحية أخرى، فإن التوقيعات ارتبطت حصرا بالأساطير والمتنزهين وأنت دورا في توجيه الواقع السياسي آنذاك، وهو دور يمكن بالطبع للقصة القصيرة جدا أن تؤديه اليوم أيضا، بالإضافة إلى أدوار كثيرة أخرى، فيمكنها أن تمارس النقد الاجتماعي وتسلط الضوء على حالات ومواقف إنسانية وتوجهات فكرية عديدة؛ أي أنها ليست محصورة فقط في الجانب السياسي والخطاب الرسمي.

القصة القصيرة جدا، كما ذهب إلى ذلك الكاتبة، يمكنها أيضا أن تكون حكمة، أو حتى نكتة، أما علاقتها بالومضة الشعرية، فإن اتكاء القصة القصيرة جدا على التكثيف، كما احتواها على الإيقاعات الموسيقية، كل ذلك يجعل منها قريبة من الومضة الشعرية، ولكن تبقى القصة قصة متميزة ببنائها التركيبي ومكوناتها السريدي، ومهما أمانا بتدخل الإجناس واستعارتها البيات بعض، شريطة توظيفها توظيفا صحيحا، فإنه لا بد لنا من حد أدنى يفصل بينها. وفي ما يخص رؤية البعض أن هناك استسهالا في كتابة هذا الفن السريدي، تقول ناصر "يبدو لي أن استسهال الكتابة في هذا الفن نابع من فكرة أن القصة القصيرة جدا تتطلب عددا قليلا من الكلمات، مما يعني في تفسير البعض أنها تستغرق وقتا أقل في الكتابة وبالتالي أيضا ستكلف جهدا أقل، لكن الأمور لا تسير بهذا المنطق في الإبداع بطبيعة الحال".

وتتابع "أن تختصر زمنا طويلا بأدائه الكثيرة وتقدم للقارئ فقط خلاصة تلك الأحداث بكلمة واحدة، راجيا أن تكون الكلمة كافية لتوضيح كل شيء، هو أمر في غاية الصعوبة. إنه يعني أن عليك القيام بعملين متناقضين في الوقت نفسه: تختصر كل شيء، وتوضح كل شيء، وإذا وفقت في تجاوز هذه العقبة لغوي وفكري، ودون امتلاك جماليات

"البعض يرى أن هناك استسهالا في كتابة هذا الفن السريدي، في المقابل هو فن صعب ويرتكز على التكثيف والإيجاز، وكتابة القصص القصيرة أمر صعب للغاية إذا كنا نريد كتابة نص جيد، وسهل إذا كنا نريد فقط التلاعب بالكلمات".

وتضيف "نحن عندما نكتب نميل إلى التطويل مدفوعين بتدققنا وهذا يجعل كتابة رواية أسهل من كتابة قصة قصيرة جدا جيدة، الأمر يشبه الفرق بين قول شيء مجموعة لا متناهية من الكلمات أو قوله بكلمات قليلة منتقاة بعناية، ناهيك عن تحديات أحكام الحكمة وكتابة النهاية المدهشة، حيث يحتاج الكاتب إلى مهارة لغوية واسعة، ورؤية ذات أبعاد، والأهم القدرة على الاختزال دون فقدان عناصر القصة ودهشتها".

لا يبتعد الكاتب والناقد الكويتي فهد الهنديل عن خصوصية الطرح أعلاه، فهو يوضح أن هناك قواسم مشتركة بين القصة القصيرة جدا والومضة الشعرية، حيث يقول "فن ق. ق. ج. أحد التعبيرات التي استنفدت منها المنظومة الإصطناعية الجديدة للإنسانية ولو بشكل غير مباشر"، ويعني بذلك منشورات التواصل الاجتماعي التي تحتل المعنى الكبير وسط التعبير القصير.

ويعتقد أن فن القصة القصيرة جدا ساهم في اختصار العالم في بضع كلمات، ينحصر شكلها في الجملة الواحدة ولا تتجاوز الفقرة الواحدة. إضافة إلى ذلك، الدهشة التي تحدثها، والمتعة التي تسحب فضول المتلقي المتابعة منجزاتها، وهذا يعتمد على براعة التكثيف اللغوي والرمزية العالية. وفي ما يتعلق برواية البعض أن هناك استسهالا في كتابة هذا الفن السريدي، في المقابل هو فن صعب ويرتكز على التكثيف والإيجاز، هنا يخبرنا الهنديل عن كيفية موازنة هذه المعادلة، وإقناع القارئ بأقل عدد من الكلمات، يقول "القصة القصيرة جدا لا تعيش على سطح المباشرة والتقريرية، وإنما تحلق إلى أعلى فضاءات العوالم الممكنة، تؤدي الذاتية دورا مهما في جانب كبير من تلفظها؛ فتجربة الكاتب واتصاله بالعالم المحيط مهمة غير يسيرة في ترجمتها لنص قصة قصيرة جدا، ولا تختلف في ذلك عن مهمة الشاعر وتجربته الذاتية مع شعره".

ويتابع الهنديل "في لقاء سابق وقديم، ذكرت أن القصة القصيرة جدا سلسلة المثل والقول الساخر؛ لكونه يولد من رحم حدث أو موقف معين مر به أو شهده المتلفظ، ولو كان مجهولا، لذلك، ليس يسيرا ولا في المتناول أن يحترف أي كان هذا الفن الصعب دون عمق بشيء، وإذا وفقت في تجاوز هذه العقبة لغوي وفكري، ودون امتلاك جماليات

في الحدث السريدي، ضمن معمار زمني متسلسل أو مقاطع أو هابط بسرعة وبطيء، في بنية لغوية وأسلوبية؛ للتعبير عن الفكرة المحكمة بالنص".

فن قديم وصعب

في حديثيات وإطار فن القصة القصيرة جدا هنا تفسر الكاتبة العمانية زينة سالم السليماني هذا الفن، وتشير إلى إمكانية اعتباره وريثا لنصوص التوقيعات في التراث العربي من عدمه، وتقول "هو وميض قوي وموجز ومثير للدهشة، ورغم قصره هو نص مكتمل وليس شظية من نص لا يكتمل إلا بما يليه، نص مختزل جدا لكنه يستطيع أن يغمر القارئ في عمقه في لحظة، وينعطف به في لحظة أخرى، كل كلمة فيه تساوي عبارة في رواية، كل فاصلة تساوي كلمة، وكل نقطة تساوي حرفا".

وفي ذات السياق توضح السليماني "أعتقد أن القصة القصيرة تشكل أدبي قديم قدم اللغة، فالشعرية عرفت عبر تاريخها الطويل، أشكالاً مختلفة من القصص القصيرة التي حملت في طياتها الدعابات، والحكايات والأساطير القصيرة والنصائح، وعرف العرب القصص القصيرة في الآيات القرآنية أيضا، لكن كل هذه الأشكال في تقديري لا تشكل القصة القصيرة كما تم تعريفها منذ القرن التاسع عشر، رغم أنه يمكن اعتبارها البيئة التي ترعرعت فيها القصة".

وتتابع "كما أنه لا يمكن اعتبار القصة القصيرة امتدادا طبيعيا لنصوص التوقيعات نظرا إلى طبيعة نصوص التوقيعات البعيدة عن السرد بكل محتويات الحكمة؛ ففن التوقيعات كما نعلم قد يكون إبداعا من ذات الكاتب ولكن أيضا كان فيه قدر كبير من الاقتباسات والتضمين من القرن والأحاديث والأمثال والأشعار، لا تراعى فيها عناصر القصة القصيرة جدا مثل "أن من الموت توهب لك الحياة".

وعن القواسم المشتركة بين القصة القصيرة جدا والومضة الشعرية تشير الكاتبة "من الناحية التاريخية على الأقل، كان يُنظر إلى الشعر على أنه أفضل طريقة لرواية أي قصة؛ بمعنى أن الشعر يمكن أن يكون هو أصل الكتابة الأدبية، شعرها ونثرها، الكثافة والاستعارات تقرب القصة القصيرة جدا من الومضة الشعرية، ولكن القوافي والحكمة تصنع الفارق بين النوعين، رغم تدخلها خلال الكتابة".

وفي ما يتعلق بالاستسهال في كتابة هذا الفن السريدي، بينما هو فن صعب ويرتكز على التكثيف والإيجاز، ولأجل الموازنة في هذه المعادلة، وإقناع القارئ بأقل عدد من الكلمات، تقول السليماني

رغم انتشاره الهام على المستوى العربي مؤخرا، ما زال فن القصة القصيرة جدا يواجه العديد من الإشكاليات المزججة، من ناحية كتابته من جهة وتقبله أو قرأته من جهة أخرى. فهذا النمط الأدبي عرف الكثير من الجدل وما زال، خاصة من حيث شكله وطرق تشكله التي أقحمتها في أجناس أدبية أخرى كالشعر أو الومضة، أو من حيث استسهال البعض لكتابته رغم ضعف الفكرة وتردي اللغة، بينما يبقى القراء متذبذبون حال الكتاب، بين جدارة هذا النوع الأدبي في استقطابهم واللبس الذي يخلفه.

مسقط - يعد فن القصة القصيرة جدا، من بين الفنون السريدي التي انتشرت منذ فترة ليست بالقصيرة، ولاقي استحسانا متلقية، بما فيه من دهشة الصورة السريدي وكثافة اللغة الأدبية في مضامينه، إلا أن هناك من لا يتفق مع حقيقة ماهية هذا الفن لأسباب قد تكون فنية لا أكثر.

هناك الكثير من الأدباء العرب الذين كتبوا القصة القصيرة جدا بتسغف كبير، وكوّن كل منهم مساحة خاصة به، لكن هذا النمط الأدبي يخلق في كل مرة تساؤلات كثيرة حوله، بداية من التساؤل حول ماهية فن القصة القصيرة جدا وهل من الممكن أن نعدّه وريثا لنصوص التوقيعات في التراث العربي؛ وماذا عن القواسم المشتركة بين القصة القصيرة جدا والومضة الشعرية؛ كما أن البعض يرى أن هناك استسهالا في كتابة هذا الفن السريدي، في المقابل هو فن صعب ويرتكز على التكثيف والإيجاز، كيف لنا أن نوازن هذه المعادلة، ونقنع القارئ بأقل عدد من الكلمات؟

شغف القراءة

العماني سعيد بن محمد السيابي وهو قاص ومسرحي، يُجيب على تلك التساؤلات بحديثه بدءا من تفسيره لهذا الفن، ويقول "إن القصة القصيرة جدا هي تطور كتابي لم يكن وليد اللحظة، إنما مثلها مثل جميع الأنواع السريدي التي خضعت لتراكمات فعل التجربة الكتابية واستمرارياتها، والليل أنها كتبت بمعظم اللغات العالمية المعروفة بما فيها لغتنا العربية الفصحى، وقد ناقشت القصة القصيرة جدا واستعرضت القضايا الإنسانية بمختلف أنواعها من الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري والقضايا المطلقة وحتى الضيقة منها لموقف أو جنس بشري أو مكان جغرافي".

وهنا يوضح في حديثه "إن خوض مغامرة الكتابة الأدبية، أشبه بمحاولة الرسم بالكلمات على جدار الروح، وهو لا نهائي ولغز وحيمي في الوقت ذاته، والمبدع من خالف القناعات الجاهزة، وأنتج مغايرة في بنية اللغة وخطابها التواصل مع القارئ؛ إنها لحظة الإبداع شاردة من عمر الزمان، يتلفها المبدع في اختيار، ويجعل منها ضرورة لوجوده الذاتي والموضوعي، وإلا ما الذي يجعل الكاتب يهزئ العالم والخبرة البشرية في عبارة أو بضع كلمات يضع لها نسفا أدبيا".

وفي السياق ذاته يضيف خمات "من بين المهارات اللغوية في عالم الدونات الكتابية، القصة القصيرة جدا، أو نص الصدمة، أو فن صناعة الدهشة بأقل الكلمات، تسعى من خلال السرد، إلى ربط الحكى - السرد بالفعل - الذات بوصفها شخصية متمركزة في جسد النص، تنتقل إلى القارئ بوساطة جملة اللغة".

وفي ما يراه البعض أن هناك استسهالا في كتابة هذا الفن السريدي، في المقابل هو فن صعب ويرتكز على التكثيف والإيجاز، يخبرنا خمات بالمعادلة هنا وإقناع القارئ بأقل عدد من الكلمات، ويقول "ما أراه ليس استسهالا بل قدرة فلسفية ضمنية في اختزال فهمنا للحياة بكلمات معدودات، وأجده ليس أمرا هيئا، بل قدرة إبداعية على انتقاء الفكر والحدث الذي وإن استطل فإن التعبير عنه يكون بإقصر الجبارات".

ويضيف الكاتب على الاختزال والتكثيف والتضمين البلاغي للإشارات المكانية والزمانية، تعطي للنص القصصي الصغير جدا فاعلية اتصالية، تنتج له الإمسك بالقارئ وكأنه اصطفاة جمالي مثير ومقنع، يحقق أفقا مدهشا في أفق مستقبل القراءة للنص، ولهذا يحاول الكاتب ربط الحدث بالحكاية وكأنها متلازمة أدائية في النص القصصي القصير؛ لأن أي متن سريدي لا بد من فكرة تنتم لمعالجتها من خلال أحداث مركزة، تؤديها شخصيات حاضرة وغير حاضرة

سعيد بن محمد السيابي

الـ ق. ق. ج تقوم على الاختزال وموسيقى الكلمة وقوة الفكرة

زينة سالم السليماني

أعتقد أن القصة القصيرة تشكل أدبي قديمة قدم اللغة

جبار خمات حسن

هذا النقط فيه قدرة فلسفية لا تخترال فهمنا للحياة بكلمات معدودات

فهد الهنديل

كتابة القصة القصيرة جدا تشبه في جوهرها كتابة الشعر

فتحية ناصر

تمتيز القصة القصيرة جدا ببنائها ومكوناتها السريدي عن الشعر

بشائر حبراس السليمي

لا يمكن أن تطلق على أي نوع من الكتابة القصة القصيرة س. ق. ج

ويضيف "ما أود التأكيد عليه هو أن القصة القصيرة جدا كلون سريدي حجزت ذكرته محبتها من إقبال القراء ودراسة النقاد لها وهي موجودة بفعل الواقع الكتابي الذي يستفيد من تقنيات الاختزال وموسيقى الكلمة وقوة الفكرة التي تطرحها القصة القصيرة جدا".

وما إذا كان من الممكن أن نعدّه وريثا لنصوص التوقيعات في التراث العربي وعن القواسم المشتركة بين القصة القصيرة جدا والومضة الشعرية، يقول السيابي "تجارب الكتابة الإبداعية لا